معركة النفط ومعركة التحرير

لم تكن اهمية الخطوة التاريخية التي اقدمت عليها قيادة الحكم الوطني في العراق بتاميم شركات النفط الاجنبية قبل سنتين انها استردت حقا ماديا كان ضائعا فحسب، ولكنها تشكل تيارا وقدوة في جميع انحاء العالم الثالث الذي تسيطر فيه شركات الاحتكار الاجنبي على ثروات هذا العالم وموارده الطبيعية · وفي ذلك دحض للافكار التي داب الاستعمار على تغذيتها لنزع الصفة الوطنية والقومية عن موارد البلدان النامية ليعطي نفسه الحق في استغلالها ·

وقد جاء تاميم شركات النفط الاجنبية في العراق في وقت كانت فيه الامة العربية تعاني من هزيمة مريرة على يد اسرائيل والقوى الاستعمارية التي تساندها ، ليؤكد في جملة ما يؤكد رفض الامة العربية للهزيمة كما اشار الرئيس احمد حسن البكر في بيانه التاريخي يوم التاميم واصرارها على انتزاع حقوقها كاملة من ايدي مغتصبيها ·

على ان تاميم النفط يكتسب ابعادا خاصة بالنظر الى ما يمثله النفط كمادة استراتيجية حيوية واساسية لصناعات الدول الاستعمارية وآلتها الحربية ، وبالنظر الى ارتباطه الوثيق بمعارك التحرر الوطني والاستقلال السياسي والاقتصادي · فالسيطرة الاستعمارية على موارد النفط وعلى مرافقه واسواقه وعمليات تصنيعه كانت تشكل على الدوام ، حاجزا سميكا دون تقدم البلدان التي ينبع في ارضها ، وكانت تمثل عن طريق الامتيازات التعسفية التي حصلت عليها باساليب خسيسة في وقت كانت فيه الشعوب الواقعة تحت الاستعمار مغلوبة على امرها ابشع وافظع انواع النهب والافقار ·

ولعل السيطرة الاستعمارية على موارد النفط ومرافقه واسواقه وعمليات تصنيعه لم يكن يدانيها من حيث التعسف والاستغلال الا سيطرة شركات النفط العالمية الاحتكارية على الاوضاع الداخلية للبلدان التي تنهب خيراتها ، فكانت تشكل دولا ضمن تلك الدول تأمر وتنهي ، تحكم وتقضي ، تفك وتربط ، تجند العملاء والجواسيس ، وتشتري الساسة والمفاتيح ، وتشرع عن طريق المشرعين ، وتنفذ عن طريق الحكام المتهافتين على ابوابها ·

وبذلك كان اقتلاع شركة نفط العراق من ارض العراق بفعل القانون رقم ٦٩ لعام ١٩٧٢ مسالة تضاهي في حجمها اقتلاع الاحتلال من اي بقعة عربية محتلة ومغتصبة لا لانه حرر الاقتصاد القومي من سيطرتها وتحكمها ونفوذها فحسب ، وانما لانه اقتلع معها الى غير رجعة كل اثر للنفوذ الاجنبي في السياسة الوطنية · ومن البديهي ان معركة من هذا النوع ، وقد كانت تتويجا وطنيا رائعا لنضال الشعب العراقي طيلة نصف قرن من الزمن ، ما كانت لتحسم كما حسمت لو لم تكن على راس الثورة في العراق قيادة وطنية صلبة ومجربة وحزب مناضل لا يلين يستقطب الجماهير ويمثل امانيها وطموحاتها ·

ومن موقع السيادة الوطنية الكاملة للشعب العراقي على ثروته القومية استطاع هذا الشعب بقيادة حزبه المناضل حزب البعث العربي الاشتراكي ان يشارك مشاركة فعالة وحاسمة في حرب تشرين بجيشه الباسل وبموارده التي اصبحت ملكا له · وقد كان ما طرحه الحكم الوطني على الدول العربية الاخرى حول استعمال النفط كسلاح في معركة العرب القومية ، وفي طليعته فرض السيادة الوطنية على موارد النفط العربي وحجب هذه الموارد عن دول الاستعمار الحليفة لاسرائيل ، اساسا واضحا للعمل القومي وسيبقى كذلك ، وان حاولت بعض الدول الرجعية المتحالفة مع الشركات الاحتكارية ان تميعه وتحتال عليه بقرارات مخففة · ولم يكتف العراق بطرح الراي ولكنه بادر والحرب قائمة الى تاميم ما تبقى من الشركات الامريكية والهولندية لا ليرد تهمة المزايدة ، وهو في غنى عن ذلك بعد ان القى بكل ثقله في المعركة العسكرية وانما ليؤكد هذا الخط الوطني المبدئي الذي لا سبيل لاسترداد السيادة العربية سياسيا واقتصاديا الا من خلاله ·

ولقد ثبت من خلال ذلك ايضا ان ارتباط معركة النفط بمعركة التحرير ليس مجرد كلام يقال في المناسبات ولا هو حلم صعب المنال · وسيظل هذا الارتباط قائما طالما بقي على ارض العرب وجهان للاحتلال : اسرائيل وشركات النفط الاستعمارية ·

معركة النفط ومعركة التحرير معركة واحدة لان اسرائيل وشركات النفط الاستعمارية جهة واحدة ·

سليمان الغزلي ■